ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Researcher: Hiba Abdul wahhab Mohammed Baqer

Asst. Prof. Ahmed Bashar Jumaah (Ph.D.)

College of Education for Human Sciences / Wasit University

Email: hebaalbaqer333@gmail.com

Keywords:

Fear, Gods, Literature, Ancient , Iraq.

Article info

Article history:

Received 1. .Apr.2022

Accepted 25.Apr.2022

Published 1August.2022

fear of the gods in the literature of ancient Iraq

A B S T R A C T

It is common knowledge in the relationship of humans to Gods that a person looks at his deity with a look filled with fear and dread, as he possesses supernatural qualities that distinguish him from all other creatures, including (strength, courage, boldness, and fearlessness), But in ancient Iraq, the situation is different. The ancient Iraqi man believed in a very large number of gods, and imagined his life as similar to the life of humans in everything, starting from the outward appearance and ending with human emotions and feelings, including a sense of fear.

That is, the life and attributes of the gods were like a mirror that reflected the life of man on earth. On the basis of that, the topic (fear of the gods in the literature of ancient Iraq) was chosen, as the research highlights the manifestations of the fear of the gods, trying to shed light on the images of that fear, starting with the motives and ending with the results, relying on a group of literary with indications that the gods have lived a state of fear.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol48.Iss1.2949

خوف الآلهة في أدب العراق القديم

الباحثة: هبة عبد الوهاب محمد باقر أ.م.د. أحمد بشار جمعة
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

الخلاصة:

أن المتعارف عليه في علاقة العبد بالمعبود هو أن العبد ينظر الى معبوده نظرة مليئة بالخوف والخشية كونه يمتلك صفات خارقة تميزه عنه وعن سائر المخلوقات الاخرى ومنها (القوة والشجاعة والجرأة وعدم الخوف)، لكن في العراق القديم الوضع يختلف، فالإنسان العراقي القديم أعتقد بعدد كبير جداً من الآلهة وتصور حياتها مماثلة لحياة البشر في كل شيء بدءاً من الشكل الخارجي وانتهاءً بالعواطف والأحاسيس البشرية ومنها أحساس الخوف. أي أن حياة الآلهة وصفاتها كانت مرآة عكست حياة الإنسان على الأرض. وعلى أساس ذلك تم اختيار موضوع البحث (خوف الآلهة في أدب العراق القديم)، إذ يبرز البحث مظاهر خوف الآلهة محاولين القاء الضوء على صور ذلك الخوف بدءاً بالبواعث وانتهاءً بالنتائج معتمدين بذلك على مجموعة من النتاجات الأدبية ذات دلالات أوضحت في طياتها أن الآلهة قد عاشت حالة الخوف.

الكلمات المفتاحية: خوف. الآلهة. أدب. العراق. القديم.

المقدمة:

أنّ الإنسان العراقي القديم كان قد أعتقد أنّ حياة الآلهة مماثلة لحياة البشر في كل شيء، فالآلهة يشربون ويأكلون ويتزوجون ويتناسلون و يأثمون أيضاً بحق بعضهم، وكان الخوف أيضاً موجوداً عندهم، بالإضافة إلى قدرتهم على القيام بأعمال خارقة لا يستطيع البشر القيام بها. وكانت الآلهة تقاتل وتموت وتمرض، بالإضافة إلى أحساسهم بالأحاسيس والعواطف البشرية وامتلاكها كل أحاسيس الضعف البشري. ومنها صفة الخوف التي تمر بها في حالات معينة. وفي هذا الخصوص يرى موسكاتي: "أنّ الدين في العراق القديم وافر الآلهة. وخصائص آلهته من نوع مماثل لخصائص الإنسان، لا تختلف عنها إلا في أنها أكثر كمالاً وتجريداً. ولباس الآلهة كلباس البشر، ولكن ثياب الآلهة أبهى من ثياب الأمراء ويصدر عنها بريق يخطف الأبصار. وللآلهة أسر وأسلحة، وصراعها كصراع الناس ولكنه بالطبع على نطاق أعظم وأهول" (موسكاتي، 1986، ص75).

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، بطريقة طرح الموضوعات التاريخية لدراستها كل على حدة متمسكة بوحدة الموضوع والدلائل التاريخية. وتضمنت الدراسة أربعة محاور، جاء في المحور الأول منها دراسة حالة (المقصود بالحالة هنا هو دراسة الخوف كباعث وما نتج عن ذلك الباعث) خوف الآلهة من الآلهة، وبين المحور الثاني طريقة خوف الآلهة على اقرانها من الآلهة، وتناول المحور الثالث خوف الآلهة من المخلوقات الغريبة، أما المحور الرابع تضمن خوف الآلهة من طموحات الإنسان. وختم البحث بمجموعة من الاستنتاجات.

تكمن مشكلة البحث في التوصل للإجابات حول عدد من الأسئلة اهمها: هل قارن الإنسان بين الآلهة والبشر؟ وأن كانت تشبه البشر في صفاتها ومخاوفها ماهي الأسباب التي دفعت الإنسان أو المؤلف لإضفاء الصفات البشرية على الآلهة رغم كونها كما توصف خارقة وقادرة على خرق قوانين الطبيعة ورغم ذلك صورها المؤلف بكل ما هو متجانس مع مخاوف الإنسان ذاته.

أما فرضية البحث حاول المؤلف وضع أسباب ومبررات لتصرفات الآلهة الغير مفهومة من خلال اعطائها الاعذار والتبريرات التي ربطها بالمخاوف التي تعتري الآلهة وتؤثر على صفاتها.

أنّ هناك مجموعة من النصوص الأدبية (النتاجات الأدبية) ذات دلالات أوضحت في طياتها أنّ الآلهة قد مرت (عاشت) حالة الخوف.

اولاً: خوف الآلهة من الآلهة.

لقد كانت الآلهة تخشى وتخاف من الآلهة الأخرى لأسباب كثيرة، ومن هذه الأسباب وتماشياً مع فكرة التطور فأنّ كل جيل جديد من الآلهة كان أكثر قوة وقدرة من الجيل السابق له، فكان ذلك مدعاة للخوف والقلق من قبل الآلهة. ومن النصوص الأدبية التي تتضح فيها صورة الخوف هي قصة الخليقة البابلية (باقر، 1976، ص71–83).إذ كان لهذه الأسطورة أكثر من نسخة واكثر من رواية لها، فهناك نصان أدبيان لهذه الأسطورة، النص الاول: هو نص بابلي الذي يجعل من الإله (مردوخ) الإله القومي لمدينة بابل، بطلاً لهذه القصة. والنص الثاني: هو نص آشوري يجعل من الإله (أشور) الإله القومي لمدينة آشور بطلاً لهذه القصة (حنون، 2006، ص18). حيث تشير تلك الأسطورة عن بدء صراع بين جيلين من الآلهة، يمثل الجيل الأول (الآباء) وهم الآلهة القديمة، ويمثل الجيل الثاني (الأبناء) وهم الآلهة الحديثة (جمعة، 2011، ص36). فقد كان السبب الرئيسي في هذا الصراع هو القلق الذي أصاب الآلهة العتيقة بسبب ضجيج الآلهة الفتية. كما في هذا النص:

"إذ ذاك تكتل الآلهة أقرانه

واقلقوا تيامة بتحركهم في كل الاتجاهات.

لقد أزعجوا حضن تيامة

بالضجة سببوا الهلع لمساكن العلى...".

"فتح ابسو فاه

ليقول لها، لتيامة الطاهرة:

أن سلوكهم مؤذياً لي

فلا انا مرتاح في النهار، ولا انا هاجع في المساء

سأحطم سيرتهم وامزقها

ليحل الصمت، ولنهجع نحن.." (هايدل، 2001، ص23).

يتضح من النص أعلاه أنَّ قول ابسو (باقر، 1976، ص74) ، هنا هو الأساس الذي سيرتكز عليه تحليل هذا النص، فقد قال ابسو بصوت حاد أنّ تصرفات الآلهة الفتية تقلقني وتزعجني، ولا أجد الراحة لا في الليل ولا في النهار، فكان أساس هذا النزاع هو الخوف والقلق الذي سببته الآلهة الفتية للآلهة العتيقة (يحيى، 2015، ص46). بعد ذلك عندما ذهب الإله ابسو مع وزيره ممو، لمقابلة تيامة، من اجل دراسة وتقرير مصير الآلهة الجديدة التي أصبحت تهدد وتشكل خطراً على الآلهة العتيقة، فرفضت تيامة تدمير الآلهة الجديدة، لكن ممو كان له رأياً موافق لرأي ابسو فقال له:

"وتكلم موممو بدوره ليدلي لابسو برأيه

كان رأي موممو صادراً عن مستشار غير لطيف

ابد يا أبي هذا السلوك المقلق

ليكون لك الراحة في النهار والنوم في الليل..." (حنون، 2006، ص58).

يتضح من النص أعلاه أنَّ هذا الوضع لم يكن مقلقاً لابسو فقط فقد كان مقلقاً لبقية الآلهة ايضاً ومنه وزيره ممو. وبعد ان سمع الآلهة الجديدة أخبار الخطة والمؤامرة التي وضعها لهم جدهم ابسو، أصابهم الخوف والقلق والذعر، ولمّا علموا بما يبديه لهم ابسو من شر ودمار اضطربوا وجزعوا، وصاروا يتحركون على غير هدى، ثم بعد ذلك هدأوا واستكانوا وجلسوا صامتين خائفين يائسين لا يعلمون ما يفعلون للنجاة من الخطر والهلاك المحدق بهم (باقر، 1976، ص76). فأنتابهم شعور عميق بالقلق فراحوا يتخبطون في جميع الاتجاهات ولا يدرون ماذا يفعلون. وبعد أن تبدد الخوف عنهم في نهاية المطاف وعادت السكينة الى نفوسهم، أخذوا يتدبرون الأمر فيما بينهم ويلتمسون مخرجاً للوضع المرعب الذي هم فيه (علي، 2000، ص119)، واخيراً ابتكر الإله ايا (Ea)، المعروف بحكمته الواسعة، تعويذة القاها على الإله ابسو فشلت حركته ومن ثم قتله (علي، 2021، ص278). كما في هذا النص:

"عندما سمع الالهة ذلك لم يقر لهم قرار،

فلزمو الصمت كمن اصابهم الخرس،

لكن عظيم الفهم، الواسع، المقتدر،

ايا (Ea) الذي يعرف كل شيء اكتشف خططهما،

فأبتكر وهيأ ضدها خطة دقيقة..." (علي، 2021، ص281).

إنَّ جملة (فلزمو الصمت كمن أصابهم الخرس) هي دليل واضح على كمية الذعر والخوف التي احسوا وشعروا بها. بعد ذلك يظهر موقف الآلهة العتيقة من مقتل ابسو ووزيره ممو، حيث بدأوا يحرضون تيامة للحرب، فقد عانى الآلهة لأنهم لم يجدوا طعماً للراحة، حيث خاطبوا تيامة وهم يملؤهم الرعب من تصرف الآلهة الفتية فقد حُرموا من النوم وأقلقتهم تصرفات الآلهة الفتية فطلبوا من تيامة الانتقام منهم. كما في هذا النص:

"تيامة المضطربة تحركت بحزن نهارا و ليلا،

و كان الالهة دون راحة يشقون في الريح

فأضمروا الشر في باطنهم

وقالوا حينئذ لتيامة و الدتهم

حينما قتلوا ابسو حبيبك

لم تبادري الى مساعدته، بل مكثت دون ان تقولي شيئا

هو ذا لقد خلق انو رياحا أربعة مفزعة

وحضنك مضطرب و نحن لا نستطيع ان ننام

أفلم يكن في قلبك ابسو حبيبك

ولا موممو الأسير؟ فتبقين وحدك

الست أمنا؟ انك تتحركين و كلكِ اضطراب

ونحن الذين لا ننعم بالراحة الا تحبيننا؟

انظري ها قد يبست عيوننا (من الأرق)

ارفعي عنا النير المضني، لكي ننام

انتصري عليهم و انتقمي لابسو و موممو

(تغلبي على أعدائنا) و اجعلي منهم أشباحا..." (هايدل، 2001، ص27).

وبذلك وضعت تيامة كل قدراتها المخيفة والمرعبة من أجل التهيؤ للحرب الساحقة على الآلهة الجديدة، فقامت من أجل ذلك بإعداد أسلحة فتاكة وولدت تنانيناً عظيمة القوى، وقامت تيامة بخلق تسعة أنواع من الوحوش الجبارة، وأضافت لها أحد عشر مخلوقاً مفترساً، لتكون جميعها من ضمن الجيش المرعب الذي أعدته للانتقام والقضاء على الآلهة الجديدة. كما في هذا النص:

"ثم انهم عقدوا اجتماعاً استعداداً للحرب

والام خوبور (Hubur) التي تخلق كل شيء

أسهمت في صنع اسلحة لا تقاوم: لقد ولدت تنانين عملاقة

لها اسنان حادة وأنياب لا ترحم

لقد ملأت اجسامهم بالسم عوضاً عن الدم

وألبست التنانين الشرسة أشعة مخيفة

وتوجتهم بهالات من ضياء جعلتهم كالالهة

فمن يراهم ينتابه هلع شديد،

انها في تحفز على الدوام، وهي لا تعرف التراجع على الاطلاق

لقد اعدت الافعى المقرنة والتنين مشخوشو (mushussu)

والبطل لخو والعفريت أوكللو (ugallu) والكلب المسعور

والرجل العقرب والعفاريت أومو (umu) العدائية

والرجل السمكة والرجل الثور

يحملون اسلحة لا ترحم وهم شجعان في القتال..." (علي، 2000، ص121).

فقد خلقت تيامة الوحوش والافاعي ذات الأسنان الحادة والأنياب القوية، وملأت أجسام تلك الوحوش بالسم بدلاً من الدم. وخلقت التنين الذين قامت بإلباسهم ثياب الرعب وتوجتهم بهالات من الأشعة، واطلقت الأفعى والتنين والأسد الكبير

والرجل العقرب والعفاريت السوداء الضخمة، وكانوا جميعهم يحملون أسلحة فتاكة وقوية جداً لا تبقى ولا تذر (الأحمد، 1982، ص423–424). إنّ التحشيد والتجهيز لقتال الآلهة الفتية يعود السبب في ذلك لشعور الآلهة تيامة بقوة تلك الآلهة بعد تجرأها على قتل الإله أبسو لهذا نجدها قد عملت على الاستعداد والتجهيز التام لقتال تلك الآلهة. ولما سمعت الآلهة الفتية بالحشود التي قامت بإعدادها تيامة أصابهم الخوف (الأحمد، 1982، ص121)، وتملكهم اليأس والرعب (باقر، 1976، ص77). فقد اتسم موقف الآلهة الفتية هنا بالخوف والاضطراب والتخبط من تيامة وجيوشها. فلما سمع الإله ايا مدى تهيؤ تيامة وجيشها المرعب شلت جوارحه من الخوف والرعب. وخلد الى السكون لكن سرعان ما زال غضبه وذهب الى جده انشار لاستشارته (يحيى، 2015، ص55). فلما أخبر ايا جده انشار عن عزم تيامة لقتلهم جميعاً وكيف ان تيامة قد خلقت وهيأت انواع الوحوش والمخلوقات المخيفة للاستعداد للحرب، فلما سمع انشار بذلك كله ضرب فخذه وتألم وعض شفتيه وغطى وجهه ليمنع نفسه من البكاء وشعر بالخوف الشديد كما في هذا النص:

"سمع انشار الرواية المزعجة جداً

ضرب فخذيه وعض شفتيه

انعصر كبده واضحت مضطربة احشاؤه..." (حنون، 2006، ص87).

وتماشياً مع فكرة العراقي القديم بأنَّ الآلهة "بشرية الصفات" (عبد الحق، 2021)، فأنَّ كل ما ينطبق على الإنسان ينطبق على الآلهة ايضاً (ماعدا بعض الصفات)، بما في ذلك لغة الجسد، فعند الرجوع الى لغة الجسد فأنَّ الدراسة العلمية "لتعابير الوجه" ترتكز في الغالب على طرق التعبير والمتعلقة بالعواطف. فقد اعتقد دارون (Darwin)، أنَّ هناك مجموعة من تعابير الوجه تكون مشتركة بين البشر. وقد أكدت الأبحاث اللاحقة أنَّ هناك ست عواطف رئيسية من الممكن أن تظهر على وجوه الناس وهي: (السعادة، الدهشة، الحزن، الخوف، الاشمئزاز، والغضب)، وكذلك فأن الرأس والرجلين، والقدمين، والمنطقة العليا من الجسم كلها تقوم بتوصيل المعلومات(النعيمي، 2015، ص311–312). فعند تحليل النص أعلاه يرى أنّ ضرب الفخذ باليد دلالة على الغضب والتوتر الشديد، وان عض الشفاه، غالباً ما يكون دلالة على القلق والتوتر، ويمكن أن يكون مؤشراً على الاجهاد أثناء الكذب، أو يمكن أن يكون تصرفاً يحاول الشخص فيه منع نفسه من أن يقول شيئاً أو لتهدئة نفسه عندما يكون متوتر (ميسنجر، 2007).

بعد ذلك أرسل الإله انشار الإله ايا لمواجهة تيامة لكن ايا على ما يبدو أنّه كان خائفاً من مواجهة تيامة، فاتجه انشار الى إله غيره وهو الإله انو:

"حينما سمع (انو) نداء أبيه انشار
اتخذ الطريق الى تيامة و تبع السبيل
(هلع من تصميمها) وعاد القهقرى
(عاد إلى) انشار الذي كان قد ولده
و(نطق) و قال له:
(يا أبي لم استطع انها كانت) أقوى مني ... لقد بسطت يديها علي..."(حنون، 2006، ص88–89).

يتضح من النص أنَّ الإله اَنو خضع لأوامر انشار وذهب الى مواجهة تيامة ولكنَّه يعجز عن مواجهتها، فيعود الى انشار ويطلب منه أن يعفيه من هذه المهمة. ويتضح من ذلك استحالة اخضاع تيامة وجيوشها بسلطة إله واحد فقط فلابد من مقابلتها بأمر من الآلهة جميعهم في سلطتهم مجتمعة. فأن أعلى سلطة لدى الآلهة ليست كافية بمفردها(جاكبسون، 1980، ص209). بعد ذلك كان رد فعل انشار بانّه اصبح صامتاً ولم ينبس ببنت شفة وضل يحدق في الارض(الأحمد،

1982، ص425)، وهنا يواجه الآلهة الخطر الشديد، فيعم الخوف والرعب على جميع الآلهة، وعقد الفزع لسان انشار فضل صامتاً وجلس ومعه بقية الالهة وهم خائفون صامتون(باقر، 1976، ص77). كما في هذا النص:

"لزم انشار الصمت و نظر الى الارض

وهو يصر على أسنانه ويهز برأسه قانطاً من ايا

إن ايكيكي و انوناكي كلهم مجتمعون

وشفاههم مطبقة (مكثوا جالسين) صامتين

ليس من اله يريد ان يعود الى هناك

لا أحد يخرج حيا من مجابهة تيامة..."(علي، 2021، ص291).

بعد ذلك استعان انشار بالبطل الجديد مردوخ ليتولى مهمة محاربة تيامة. بعد ذلك أصبح الصراع وشيكاً بين الآلهة العتيقة والآلهة الفتية. فأتجه مردوخ من أجل مواجهة الآلهة العتيقة وقد اثار وجوده وهيأته الرعب لدى الآلهة العتيقة، فعندما يراه الإله "نكو" زوج تيامة يدب الرعب فيه وفي صفوف جيشه، ويضطرب نظام الآلهة(جاكبسون، 1980، ص212). كما في هذا النص:

"حينما دنا السيد تطلع الى داخل تيامة

وسبر مخطط كينكو زوجها

عند النظر إليه ارتبكت مسيرته

ووهن فكره و صارت أعماله بغير نظام

حينما رأى الآلهة حلفاؤه ومعاونوه

بطلهم وزعيمهم على تلك الحالة ارتبكت نظرتهم..."(جاكبسون، 1980، ص137).

وبعدما قام مردوخ بالهجوم على تيامة والقضاء عليها وقتلها ارتعد بقية الآلهة خوفاً من مردوخ. كما في هذا النص:

"وبعد ان قتل تيامة زعيمتهم

تفرق حرسها و تشتت معسكرها

والالهة حلفائها و معاونيها

ارتعدوا خوفا و أداروا الظهر

وانهزموا لينجوا بحياتهم

ولكنهم كانوا محاطين من كل جهة و تتعذر عليهم النجاة

فحاصرهم و حطم أسلحتهم

فالقوا في الشباك و حبسوا في اشراك..."(حنون، 2006، ص139).

أي عندما رأى اتباع تيامة من الآلهة العتيقة ما حلّ بها تشتت جموعهم محاولين الهرب من أجل انقاذ حياتهم. لكن مردوخ كان لهم بالمرصاد إذ قام بأسرهم وتحطيم أسلحتهم. اما المخلوقات الاحد عشر الذين أوجدتهم تيامة ليخوضوا الحرب ضد الآلهة الفتية فقد أصبحوا ممتلئين بالخوف والرعب وهم في قبضة مردوخ. كما في هذا النص:

"وكانت المخلوقات الاحد عشرة ممتلئة بالخوف..."(حنون، 2006، ص139).

من الممكن أن يكون سبب خوف الالهة القديمة (ابسو وتيامة) آلهة السكون والعماء والفوضى شعورها بحالة الحركة والتنظيم لدى الآلهة الفتية وهذا سبب لديها حالة من الخوف والقلق إذ أنّها لم تحدد مهام أي إله ولم تقم بتنظيم الكون الذي كان بحالة من الفوضى التي سعت على بقائه بتلك الحالة. وعليه عملت على التخلص والقضاء على الآلهة الفتية (الجديدة) عندما شعرت بتحركاتها التي أزعجتها وما يثبت ذلك ان الآلهة الفتية بعد أنّ استتب لها الأمر بعد تخلصها من الآلهة القديمة عملت على تنظيم الكون وتحديد مهمة كل إله. وبذلك فقد أكدت أسطورة الخليقة البابلية بأنَّ الغلبة والانتصار قد أكدت مدى تقدم الجيل الثاني من حيث القوة قياساً مع الجيل الأول(الطعان، 1981، ص626). وهذا دليل لا يقبل الشك بأنّ أساس الصراع في هذه الملحمة هو خوف وقلق الجيل الأول من الجيل الثاني.

ثانياً: خوف الآلهة على الآلهة.

لقد أوضحت النصوص الأدبية بين طياتها نوعاً آخر من خوف الآلهة سواء أكان خوف الآلهة على نفسها أم على الآلهة الأخرى التي تتعلق بمصيرها. فكما قلنا سابقاً كان لدى الآلهة أبناء وزوجات وتخاف الآلهة بعضها على البعض الاخر. فقد كانت تتعرض حياتهم الى الخطر مما يستوجب التماس المساعدة والعون من الآلهة القادرة على الاغاثة (الجوراني، 1998، ص130). والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة، من تلك النصوص هي ما جاء في أسطورة نزول انانا "عشتار" الى العالم الأسفل. فقد جرد حارس بوابات العالم الأسفل عشتار من كل شيء، حيث أنزعها الحارس كل ما ترتدي من ثياب وحلي تدريجياً، وأخذ منها كذلك النواميس الآلهية. وهذا دليل واضح على خوف حراس وملوك ذاك العالم على ملكتهم ايرشكيجال (علي، 2000، ص105). كما هي هذا النص:

"نزع التاج الكبير عن رأسها واخذه:

لماذا ايها البواب، اخذت التاج الكبير من رأسي؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

ولما اجازها باباً ثانياً،

نزع اقراط اذنيها واخذها:

لماذا ايها البواب، اخذت اقراط اذني؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

وحينما اجازها باباً ثالثاً،

نزع لآلئ عنقها واخذها:

لماذا ايها البواب، اخذت لآلئ عنقي؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

وحينما اجازها بابا رابعاً،

نزع وشاح صدرها واخذه:

لماذا ايها البواب، اخذت وشاح صدري؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

وحينما اجازها باباً خامساً،

نزع نطاق قامتها ذا احجار الولادة واخذه:

لماذا ايها البواب، اخذت نطاق قامتي ذا احجار الولادة؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

وحينما اجازها باباً سادساً،

نزع حلقات يديها ورجليها واخذها:

لماذا ايها البواب، اخذت حلقات يدي ورجلي؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم.

وحينما اجازها باباً سابعاً،

نزع الثوب الذي يغطي عورتها واخذه:

لماذا ايها البواب، اخذت الثوب الذي يغطي عورة جسدي؟

ادخلي يا سيدتي. هذه شرائع سيدة الجحيم..."(لابات، 2013، ص328-329).

ففي تصرفهم هذا خوف واضح من وعلى الآلهة، اي خوفهم من الآلهة عشتار على ملكتهم ايرشكيجال وعلى أنفسهم أيضاً، من أن تقوم عشتار بتخريب نظام العالم الأسفل فقد كان عالماً منضماً مثله مثل العالم العلوي. فكما هو معروف أنَّ النواميس الإلهية تعتبر رمز السيادة، وبفقدان تلك النواميس او التجرد منها، يفقد الإله قوته وسطوته وقدسيته ولا يصبح قادراً على تأديه وظائفه ومهامه (الجوراني، 1998، ص126). وكذلك أن تصرف وزير عشتار "ننشوبر" عند مضي ثلاثة ايام وثلاث ليال على رحيل عشتار الى العالم الأسفل، هو دليل على مدى خوف وزيرها عليها. فقام ننشوبر بالبكاء والتوسل أمام الآلهة الكبار من آجل استدرار عطفهم على عشتار وتخليصها من الموت وطلب العون منهم. كما في النص:

"بعد ثلاثة ايام وثلاث ليال،

انانا لم تعد،

نشرت ننشابور الرثاء لها عند خرائب الاطلال،

في اماكن التجمع والاجتماع قرعت الطبول بقوة،

صوت الرثاء ضل يدور في بيوت الالهة،

مزقت عيناها،

فهما،

افخاذها،

مثل شحاذ ارتدت ثوباً بالياً...

كان معاون الالهة العظام مهتماً وقلقا..."(الشواف، 2001، ص135).

فذهب ننشوبر الى كل من انليل ونانا وطلب منهم مساعدة عشتار ولكنّهم رفضوا ذلك. فتوجه بعد ذلك الى الإله انكي يطلب منه مساعدة عشتار قائلاً:

"بشابور ذهبت الى اريدو الى معبد انكي،

عندما دخلت المعبد المقدس، صاحت:

اوه ابت انكي،

لا تترك ابنتك،

لا تتركها تموت في العالم الاسفل،

لا تدع معدنك الفضي اللامع يعلوه الصدأ،

لا تدع حجر اللازورد الثمين يتكسر كحجر الحجارين،

لا تدع صندوقك الخشبي المقدس ينشر كخشب النجارين،

لا تدع عذراء السماء المقدسة تموت في العالم الاسفل..."(الشواف، 2001، ص373).

وعند تحليل النص نرى مقدار الخوف والقلق الذي انتاب ننشوبر على آلهته عشتار والمصير المجهول الذي ينتظرها في العالم الأسفل. بعد ذلك اجاب انكي قائلاً:

"فأجاب انكي (قائلاً) لننشوبر:

ماذا جرى لابنتي؟ انني قلق!

ماذا جرى لانانا؟ انني قلق!

ماذا جرى لملكة البلدان؟ انني قلق!

ماذا جرى لكاهنة السماء؟ انني قلق!..."(علي، 1999، ص149).

فقد ورت كلمة القلق هنا بشكل صريح للدلالة على مدى خوف انكي على الآلهة عشتار، فقام انكي بمساعدتها وتخليصها من العالم الأسفل. فقد ذكرت النسخة السومرية أنَّ الإله انكي أخذ بعضاً من الطين "من تحت ظفر أحد اصابعه" وخلق من ذاك الطين مخلوقين، أعطى للمخلوق الأول "طعام الحياة"، وللثاني "ماء الحياة" وبعد ذلك طلب منهما النزول الى العالم الأسفل ونثر الماء والطعام على جسد الآلهة عشتار لتعود الى الحياة مجدداً(علي، 2000، ص106). هنا قد يتبادر إلى الأذهان لماذا انقذ الإله انكي الآلهة عشتار؟ الرأي الأول أنّه أراد أن يبين للآلهة عشتار مدى مكانتها وأهميتها لدية خاصة بعد اعتراضها عليه لأنّه لم يوكل إليها أية مهام في أسطورة انكي وتنظيم الكون والرأي الثاني خوفه من تعاظم قوة الآلهة ايرشكيجال آلهة العالم الأسفل.

ثالثاً: خوف الآلهة من المخلوقات الغريبة.

أنَّ دراسة النصوص الأدبية الدينية والأسطورية تشير بشكل واضح إلى أن الآلهة قد تتعرض في بعض الأحيان الى هجوم المخلوقات الغريبة والشياطين عليها، وغالباً ما تنتهي تلك النصوص بهزيمة الآلهة وهذا ان دل على شيء فانه يدل على أنَّ العراقيين القدماء نظروا الى المخلوقات الغريبة والعفاريت والشياطين الى أنّها قوة تفوق قوة الآلهة احياناً(يحيى، 2015، ص200).

لذلك فقد تصور الإنسان العراقي القديم وجوده في عالم مخيف خطر ومرعب. ومن خلال الأدب الأسطوري نستطيع ان نتلمس صورة هذا الإحساس عن طريق مجموعة من القصص والأساطير والتي تخص الآلهة تشير الى صراع وحروب متواصلة من قبل الآلهة ضد مخلوقات وكائنات مخيفة وغريبة، إذ تحاول تلك المخلوقات أن تفسد على الآلهة عالمهم الخاص. فقد قدمت تلك الأساطير تصوراً واضحاً مليئاً بالخوف والقلق والرهبة والعنف في عالم كان من المفترض أن يسود فيه النظام والطمأنينة(يحيى، 2015، ص172).

فبعد أن تمت عملية تنظيم الكون بعد أسطورة الخليقة البابلية وبعد فترة لم تكن طويلة من فصل السماء عن الأرض، يندفع من جوف الارض تنين العالم الأسفل المسمى ب "كور"، في محاولة منه لبسط نفوذه على بقية العالم، وارجاع الحياة الى جماد، والحركة الى سكون، والنور الى ظلمات. فقد كان الإله المطلق لعالم الموت والظلام (السواح، 1988، ص215).

ومهما كانت تسمية هذا المخلوق الوحش ومهما كان شكله أو حجمه فأن الأساطير السومرية التي تحدثت عن هذا الوحش تنطوي تحت عنوان واحد وهو(أسطورة هلاك كور وذبح التنين). وقد تفرعت من هذا العنوان ثلاث روايات أسطورية، ففي الأسطورة الأولى يكون الإله(انكي) هو بطل القصة، وفي الأسطورة الثانية يكون الإله (ننورتا)، أما الأسطورة الثالثة فتكون بطلتها آلهة انثوية وهي الآلهة (انانا)(جمعة، 2011، ص61). ومن المؤسف أنَّ النصوص التي تحدثت عن تلك الكائنات وصراع الآلهة معها وصلتنا بحالة سيئة من النقص والتشويه. الأمر الذي أدى الى عدم معرفة مصير كور النهائي.

ففي أسطورة "انانا وجبل ايبخ". التي تحكي عن الصراع الذي نشب بين الآلهة انانا وبين أحد الكائنات البدائية المدعو "ايبخ"، حيث تبدأ الأسطورة بتمجيد الآلهة انانا كإلهة للحب والحرب والبطش بالأعداء(علي، 2000، ص101)، بعد ذلك تصر الإلهة انانا على ضرورة اعتراف (كور) بقوتها وجبروتها وأن لم يفعل ذلك فأنها مجبرة على توجيه ضربة قوية له(جمعة، 2015، ص69). ويمكن أن نتلمس شعور خوف الآلهة من تلك الكائنات الغريبة من خلال الحوار الذي دار بين انانا والإله "آن" بعد ان عرف عزم انانا على مواجهة ايبخ .إذ ورد في النص:

"ان، حاكم الالهة، يرد عليها:

يا صغيرتي، انك ترومين الجبال! فأي مغزى لهذا؟

يا اينانا، وقد رمت الجبال، ما معنى هذا؟

انك قد احتفيت بالجبال! فما معنى هذا؟

تريدين ايبخ! فأي مغزى لهذا؟

ففي مواضع الالهة، يعم الفزع،

وفي مقر الانونيين يسود الهلع،

والخوف يعم الان ارض سومر!

ارتفاعه يصعد الى السماء، وجوفه مجهول.

وبساتين الجبال، تحمل ثماراً رائعة،

وقممها هي ناصية السماء، ومدهشة،

وتحت اغصان ايبخ، غزيرة الاوراق

تتفيأ ازواج الاسود.

ويعج هناك المكان بالخنازير والغزلان،

وثيرانه ترعى في الحشيش الطري،

وتحت السرو يتكاثر الجدي،

وكل شيء هناك في هلع، وانت لا تعرفين

الجبال مليئة بالرعب..."(هروشكا، 2006، ص52-53).

من خلال النص يتبين مدى فزع الآلهة من ذلك المخلوق الغريب الذي أخذ هيئة الجبل في هذه الأسطورة. ففي خطاب "آن" الذي يوضح فيه أن تلك المخلوقات سلطت الرعب على دار الآلهة الشامخ، وادخلت الخوف الى مسكن الانوناكي وملئت الارض جميعها بالرعب. ويحذرها من مغبة قيامها بمهاجمة "كور".

رابعاً: خوف الآلهة من طموحات الإنسان.

إنَّ الآلهة العراقية القديمة هي آلهة "غيورة"، تخشى وتخاف من تعاظم السلطات فيما بينها، وتخشى من تعاظم سلطات الإنسان أيضاً. ومن البديهي والطبيعي أن يخاف الانسان من ألهته ويخاف على ما أنجزه وحققه في حياته، كما أنه من البديهي أن يثور ويتمرد على ظلم آلهته له، ولكن مما يلفت النظر وليس من الطبيعي أن يرتاب ويخشى الإله من الإنسان (حسين، 1999، ص64).

وأنَّ ما جاء في قصة "ادابا"(هوك، 1968، ص50). يبين ذلك، إذ كان "ادابا"، حكيم مدينة "اريدو" والذي خلقه الإله "ايا" نموذجاً للإنسان الكامل، وقد كان يمتهن مهنة الصيد، وحدث في أحد الأيام أنَّ "الريح الجنوبية"، قد هبت على ادابا وهو يصطاد في سفينته(باقر، 1976، ص136). فقلبت قاربه وشارف القارب على الغرق. وبسبب ذلك أنفعل ادابا وتفوه بلعنة سببت "كسر أجنحة ريح الجنوب والتي كانت تشخص في هيئة طائر شيطاني)، مما أدى الى توقف هبوبها لمدة سبعة أيام(رو،1984، ص135). وأن هذا الفعل اغضب الإله "آنو" فقام باستدعاء ادابا الى السماء، فقام ادابا بطلب المساعدة من الإله "ايا- انكي" فقام انكي بمساعدته من خلال عدة نصائح قدمها له. كما في النص:

"حينما سمع آنو هذه الاقوال،

صرخ: "مهلاً!" وقام من كرسيه،

(وقال): "ليؤت به الى هنا!..."(لابات، 2013، ص359).

يبدو من ردة فعل الإله "آنو" أنه فزع في بداية الأمر عندما عرف تعدي الحكيم ادابا على "ريح الجنوب"، فأن تحليل كلمة "مهلاً" هي أن يوقف الشخص الموجه له الكلام الشخص المتكلم يطلب توقفه عن الكلام لكي يستوعبه. وهذا ما حدث فعلاً مع اَنو.

أما النصائح التي قدمها ايا الى ادابا هي أكبر دليل على قلق الآلهة من طموحات البشر وحتى لا يفكر البشر في منافسة الآلهة على عروشهم الإلهية. إذ جاء في النص:

"الا ان ايا كان يعلم ما في السموات،

"فلمس" (ادابا) وجعله يحمل شعراً وسخاً،

(والبسه) ثوب الحداد،

ثم زوده بهذه التعليمات:

"(ادابا)، ستذهب شخصياً (امام انو) الملك،

(ستتخذ طريق السموات، وحينما) الى السموات

(تكون قد صعدت)، ستد (نو من باب انو)...

وحينما تمثل امام انو

ويأتونك بخبز الموت

لا تأكل، واذا اتوك بماء الموت

لا تشرب، واذا اتوك ثوباً،

البسه، واذا اتوك بزيت، ادلك به ذاتك،

لا تهمل التوصيات التي اعطيك اياها،

واحفظ جيداً الكلمات التي اقولها لك."(لابات، 2013، ص359-360).

بعد ذلك عندما خضع ادابا الى نصائح ايا ورفض تناول "ماء وخبز الحياة" حكم اَنو بإنزاله الى الارض وحرمانه من الخلود(باقر، 1976، ص137). فقد كانت الآلهة تكره وتخاف من أن يصبح الإنسان مساوياً لها، فهي خلقته لخدمتها لا لكي يتعدى حدوده ويعرف أسرار السماء. وأنَّ ما ورد من نقاش بين دموزي والإله الأخر عندما علموا بصعود ادابا الى السماء، والنصائح التي قدمها ايا له هو خير دليل على كلامنا إذ جاء فيه:

"قالا لانو، الذي هدء قلبه لصالحه،

قالا لانو، الذي هدأ قلبه وتأثر:

"لماذا كشف ايا لبشر غير مستحق،

امور السماء والارض؟

انه جهزه بقلب متين، وجعل له اسماً.

فنحن، ماذا سنعمل له؟..."(لابات، 2013، ص361).

معنى النص أنَّ الآلهة فعلاً كانت غيورة على مناصبها ويبدو ذلك الاعتقاد واضحاً في احتفاظ الآلهة بالخلود لأنفسهم فقط(هوك، 1968، ص51).

أنّ هذه القصة تحمل الكثير من التناقضات والتساؤلات، فمن وجهة نظر الباحث بعد التمعن في موقف الآلهة من حرصها الدائم على وجود خطوط معينة لا يمكن للبشر تجاوزها أو الارتقاء فوقها، ومن الملاحظ من هذا النص الذي يبين هذا النوع من خوف الآلهة من طبيعة الإنسان التي لا تتماشى وأن يكون آلهاً في نفس الوقت ومحتفظاً بطباعه البشرية، حيث نجد إله الحكمة ايا قد علم من كونه الاهاً ان لدى اَنو نية تكريم ادابا من خلال تقديم الماء والخبز له هذا الأمر الذي سيؤدي الى اكتساب الإنسان ادابا احدى صفات الآلهة، وهي الخلود. وهذا ما يخشاه ايا لذلك قام بنصح ادابا بأن لا يأكل ولا يشرب من الماء والخبز، فضلا عن أنّه نصح ادابا بأن يكون رديء المظهر من خلال اطالة شعره وغيرها من الأمور التي سوف تؤثر سلبا على صورته أمام الآلهة، لذلك نجد أنَّ هذا الخوف يمكن أن يفسر على وجه آخر بانه ارادة ايا أن لا يفتح هذا الأمر طريقاً أو املاً لدى الإنسان بأن يحلم بالوصول الى مرتبه الآلهة، في حال اصبح ادابا آلهاً وصار مثالاً لمثل هذه الطموحات. بل أن النص يمكن ان يحمل رسالة مبطنه فحواها أن الإنسان لا يصلح أن يكون الهاً، بسبب عدم امتلاكه من الحكمة ما يخوله أن يكون الهاً والدليل على ذلك كونه قد كسر جناح الريح فور تعارضها مع مزاجه وعمله، والتسرع ليس من صفات الآلهة.

لذلك دائماً نجد خوف الآلهة من طموح النفس البشرية للوصول للذاتية التي تمكنها أن تتمتع بإحدى صفات الآلهة كالخلود وغيرها. وفي الأخير يحصل ايتانا على نبتة الولادة (حسب افتراض لابات)، كمكافئة وهدية له من الآلهة لعدم تجاوزه طبيعته البشرية ومنافسة الآلهة في السماء.

الاستنتاجات

1- أنَّ مؤلف القصص والأساطير في العراق القديم لا يتردد من عرض شخصيات الآلهة وهم يحملون نقاط الضعف الإنسانية بما فيها (الخوف)، فبالرغم من أنهم كانوا أقوياء ألا أنّ هناك حدوداً لقوتهم تلك.

2- عدم قدرة مؤلف القصص والأساطير العراقية القديمة سلخ الصفات البشرية من ذات الآلهة، فبالرغم من الهالة التي أحاطت بالآلهة ألا أنّه لم ينسى إعطائها صبغة الضعف البشري وكل ما يمتلكه من أحساس وشعور ومنها الشعور بالخوف. أي بمعنى أخر أنّه على الرغم من قوتها وسطوتها ألا أنها تمتلك كل أحاسيس الضعف البشري.

3- تخاف الآلهة من الآلهة الأخرى لأسباب كثيرة لأسباب كثيرة أهمها خوفها من قوة الجيل الجديد من الآلهة والذي تبين أنّه يتفوق عليها في القوة والمقدرة، وهذا ما حدث فعلاً في أسطورة الخليقة البابلية. وكذلك خوفها على مصالحها ومحاولة الاحتفاظ بقوتها قدر الإمكان.

4- تخاف الآلهة بعضها على البعض الأخر ففي حال تعرض أحدهم الى خطر معين يسرع بطلب المساعدة والمعونة من الآلهة الأخرى القادرة على الإغاثة.

5- تخاف الآلهة من الشياطين والعفاريت ومن المخلوقات الغريبة حالها في ذلك حال الإنسان لا تختلف عنه في شيء. وذلك لأن بسبب أمثلاك تلك المخلوقات الغريبة قدرة تفوق قدرة الآلهة في بعض الأحيان مما يجعلها تعيش حالة من الخوف والقلق بسبب عدم قدرتها من السيطرة عليها.

6- أنّ من الطبيعي والبديهي أن يخاف الإنسان من الآلهة ويخشى قوتها وسطوتها كونها تمتلك قدرات خارقة تميزها عن البشر، ولكن ما يلفت النظر وليس من الطبيعي أن تخاف الآلهة من الإنسان ومن طموحه لكن الآلهة العراقية القديمة كانت تخاف من الإنسان في بعض الأحيان محاولة منها في وضع خطوط معينة حتى لا يستطيع الإنسان تجاوزها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأحمد، سامي سعيد، (1982)، العراق القديم من العصر الاكدي حتى نهاية سلالة بابل الاولى، ج2، (بغداد، مطبعة الجامعة).

2- باقر، طه، (1976)، مقدمة في أدب العراق القديم، (بغداد، دار الحرية للطباعة).

3- جاكبسون، ثوركليد واخرون، (1980)، ما قبل الفلسفة، الانسان في مغامراته الفكرية الاولى، ترجمة ، جبر ابراهيم جبر، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

4- الجوراني، وداد، (1998)، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "افاق عربية").

5- جمعة، احمد بشار، (2011)، فكرة الصراع في الاساطير والملاحم العراقية القديمة (3000-2000 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، العراق.

6- حنون، نائل، (2006)، ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي، (دمشق، دار الخريف للنشر والتوزيع).

7- حسين، ولاء مهدي محمد، (1999)، الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين واثره في العهد القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.

8- رو، جورج، (1984)، العراق القديم، ترجمة وتعليق، حسين علوان حسين، مراجعة، فاضل عبد الواحد علي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة).

9- السواح، فراس، (1988)، مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة- سوريا وبلاد الرافدين)، (بيروت، دار الكلمة للنشر).

10- الشواف، قاسم، (2001)، ديوان الاساطير، ج4، الموت والبعث والحياة الابدية، (بيروت، دار الساقي).

11- الطعان، عبد الرضا، (1981)، الفكر السياسي في العراق القديم، (بغداد، دار الرشيد للنشر).

12- علي، فاضل عبد الواحد، (1999)، عشتار ومأساة تموز، (دمشق، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع).

13- علي، فاضل عبد الواحد، (2000)، سومر اسطورة وملحمة، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العالمة).

14- علي، فاضل عبد الواحد، (2021)، سومر فكر ومعتقد، (بغداد، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع).

15- لابات، رينيه، (2013)، المعتقدات الدينية في وادي الرافدين، مختارات من النصوص البابلية، تعريب، الاب ابونا، وليد الجادر، (بغداد، اتحاد الناشرين العراقيين).

16- موسكاتي، سبتينو، (1986)، الحضارات السامية القديمة، ترجمة، السيد يعقوب بكر، مراجعة، محمد القصاص، (بيروت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر).

17- ميسنجر، جوزيف، (2007)، لغة الجسد النفسية، ترجمة، محمد عبد الكريم ابراهيم، (دمشق، منشورات دار علاء الدين).

18- النعيمي، فجر جودة، (2015)، علم النفس الاجتماعي دراسة لخفايا الانسان وقوى المجتمع، (بغداد).

19- هايدل، الكسندر، (2001)، الخليقة البابلية، قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على "العهد القديم"، ترجمة، ثامر مهدي محمد، (بغداد، بيت الحكمة للنشر والتوزيع).

20- هروشكا، بوهوسلاف، واخرون، (2006)، الأساطير في حضارة وادي الرافدين ترجمة عن الرقم الطينية، ترجمة، عصام عبد اللطيف احمد، (بغداد، بيت الحكمة).

21- هوك، صموئيل هنري، (1968)، الاساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة، يوسف داوود عبد القادر، (بغداد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة).

22- يحيى، اسامة عدنان، (2015)، الآلهة في رؤية الانسان العراقي القديم "دراسة في الاساطير"، (بغداد، آشور بانيبال للكتاب).